الفصل الثاني

ربطه ﷺ للمسجد الأقصى بالبيت الحرام والمسجد النبوي

في توصيفه للعلاقة بين القدس ومكة المكرمة، قال المفكر الإسلامي الدكتور محمّد عمارة: «القدس - كل القدس - حرم مقدس، كما أن مكة - كل مكة - حرم مقدس، ولقد أطلق القرآن الكريم على هذه المدينة المقدَّسة مصطلح (المسجد) قبل الفتح الإسلامي لها، وقبل بناء المساجد الإسلامية فيها، فهي (مسجد) كما أن مكة (مسجد) أي قبلة للساجدين، فالإسراء قد حدث من مكة - المسجد - إلى القدس - المسجد - وهو قد أقام رباطاً بين هذين الحرمين المقدسين، وهو رباط يجسد وحدة الدين الإلهي عبر كل النبوات والرسالات. ولتقديس الإسلام لهذه المدينة باعتبارها مسجداً وحرماً وقبلة للنبوات السابقة، فإننا يجب أن نتعامل معها في هذا الطور من أطوار الصراع التاريخي حولها وعليها، باعتبارها أكثر من قطعة أرض، وأعظم من كونها قلب الصراع العربي - الصهيوني، إنها كل ذلك وأعظم من ذلك، فإنها جزء من عقيدة أمة يبلغ تعدادها ملياراً وثلث المليار، وليست مجرد قضية وطنية لثمانية ملايين من الفلسطينيين، ولا مجرد مشكلة قومية لأقل من ثلاث مئة مليون عربي، إنها عاصمة الوطن الفلسطيني، ومحور الصراع العربي - الصهيوني، وفوق كل ذلك فهي عقيدة إسلامية وحرم مقدس، والرباط بينها وبين الحرم المكي هو التجسيد لعقيدة وحدة دين الله التي جاء بها الإسلام»[1].

---

(١) الدكتور محمّد عمارة (كاتب ومفكر، باحث في التاريخ الإسلامي، القاهرة): استطلاع أجرته وكالة قدس برس.

وكما هو النهج القرآني في التعامل مع المسجدين الأثيرين الأعظمين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، فقد كان من هدي النَّبي ﷺ تأكيد هذا الربط الإلهي الذي لم يقف عند ذكرهما في آية واحدة، أو حدث عظيم كالإسراء والمعراج، وغير ذلك مما أشرت إليه في ثنايا السطور السابقة وما سيرد في السطور اللاحقة..

اتضح ذلك الهدي النبوي من خلال الكثير من الأحاديث التي ربط فيها النَّبي ﷺ بيت الله الحرام بالمسجد الأقصى المبارك، وكذلك بالمسجد النبوي الشريف، وفي ذلك توأمة عجيبة بين تلك المساجد، تجعل أي ذكر لواحدٍ منها يستحضر ذكر الآخر، ويؤدي ذلك تلقائياً إلى انعكاس مكانة أحدها وقدره على الآخر بوصفه أخاً وشقيقاً وتوءَماً له..

ومن خلال استعراض مجموعة من تلك الأحاديث، يتبين لنا مدى رسوخ ذلك الهدي النبوي وثباته في تعامله مع المساجد الثلاثة ومنها:

أولاً: ترغيبه ﷺ في شدّ الرحال إليها

جبل الإنسان على حبّ التغيير والتجديد بين الفينة والفينة في أموره كلها، وقد منّ الله عليه بتوفير متغيرات كثيرة من حوله. فلا نهار إلا ويعقبه ليل، ولا صيف إلا ومن بعده خريف، ثم شتاء بعده ربيع، وهكذا.. والأشجار والثمار تتغير تبعاً لذلك، والأطعمة والأشربة كذلك، والتغيير والتجديد يتعدى كل ما سبق ليشمل أمور العبادة والصلة بالله تعالى، وذلك مما امتاز به هذا الدين المتوافق مع هذه الفطرة.

إنك لتجد أن هناك فوارق بين الصلوات الخمس، بعدد ركعاتها وسرّيتها وجهريّتها، وتغير هيئاتها في السفر ووقت الكسوف أو الخسوف وفي العيدين والجنازة ووقت الخوف، وغيرها من الهيئات المتعددة للصلاة..

إنه مثال واحد فقط على تكيف هذا الدين مع ما هو كامن في النفس البشرية

من حبّ في التغيير، يشتمل على الرغبة أحياناً في كسر النمطية والروتينية التي قد تجلب الملل، ولذلك فقد رغَّب الرسول ﷺ في تنشيط النفس وتحفيزها على العبادة بشدّ الرّحال للصلاة في مساجد أثبتها بعينها ابتغاء الأجر والثواب وحصر الأمر بها، في توازن يقي جعل الاستثناء قاعدة.. ودون حصر الحكمة من أمره بذلك التغيير.

وعلى اتساع رقعة العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً وازدياد عدد المساجد فيها إلا أن ثلاثة مساجد فقط اختصّت بالشّرف الأوفر والمكانة العظمى، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا: إن حديث شدّ الرّحال لتلك المساجد برواياته التي سنسوقها هو الحديث الأشهر، والأكثر تداولاً بين الناس للتدليل على مكانة تلك المساجد وتميّزها عن غيرها من المساجد المنتشرة في طول الأرض وعرضها..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: "**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**"(١).

وجاء في رواية: "**ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا**"(٢).

ورواية: "**إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء**"(٣).

وهذه الروايات صحيحة والحديث لا يرقى إليه أيّ شكّ في صحته، فقد زعم

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١١٨٩، خلاصة الدرجة: [صحيح].
(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١٩٩٥، خلاصة الدرجة: [صحيح].
(٣) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ١٣٩، خلاصة الدرجة: [صحيح].

البعض أن أصل الحديث شدّ الرّحال إلى مسجدي مكة والمدينة فقط، ثم تمّت زيادة المسجد الأقصى فيما بعد، وقولهم هذا مرفوض جملة وتفصيلاً ومنقوض بأدلة لا تردّ، وقد أثبت علماء الحديث كذب ادّعاءاتهم وزيف تقولاتهم، وقد فصّل ذلك مؤلف كتاب (بيت المقدس والمسجد الأقصى)[١]، وذكر أن الذين زعموا أن حديث "**لا تشدّ الرّحال..**" هو من الإسرائيليات، إنما نقلوا ذلك عن قول صهيوني، لأن أوّل من طعن في هذا الحديث هو (جولد تسيهر) وهو مستشرق يهودي، وهدف اليهود من الطعن في هذا الحديث ألَّا تكون للمسجد الأقصى مكانة في نفوس المسلمين، وقد أعدّ اليهود للأمر عدّته منذ بداية الحركة الصهيونية التي رافقت مرحلة نشاط الاستشراق. ولا عجب، فوراء كل فتنة؛ أصابع يهودية، كفتنة ابن سبأ اليهودي، والذين حرفوا التوراة والإنجيل؛ ليس غريباً عليهم أن يحاولوا تحريف أحاديث نبينا ﷺ بعدما استعصى عليهم كتاب الله، ألم يُحدِّث عنهم النَّبي ﷺ بقوله: "**لو تَابَعَنِي عَشَرَة مِن اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم**"[٢]. وفي رواية: "**لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود**"[٣].

وهل من العجيب بعد ذلك أن يقول عنهم الفيلسوف الألماني (تريشكة): «وراء كل حجر ثعبان يهودي، وراء كل تفاحة فاسدة دودة يهودية، وراء كل حريق عود ثقاب يهودي، وراء كل خيانة زوجية غواية يهودية، وراء كل مصيبة وشاية يهودية، وراء كل مرض ميكروب يهودي، إنهم المرض والدمار والخراب لكل البشرية!!».

إن الخطر اليهودي لم يقف عند المسجد الأقصى المبارك، فكل المؤشرات

---

(١) بيت المقدس والمسجد الأقصى: محمّد محمّد شراب، ٣١٧ إلى ٣٢٦.

(٢) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٢٧٩٣، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٣) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٣٩٤١، خلاصة الدرجة: [صحيح].

كانت تدل على أن أطماعهم تعدته إلى شقيقيه المسجد النبوي والمسجد الحرام، وقد كشفت ألسنتهم عن ذلك ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ٣/١١٨]، فاليهود يعدّون فلسطين موطئ قدم لهم لتحقيق حلمهم القديم؛ لإيجاد مملكة (إسرائيل) من الفرات إلى النيل، والرجوع إلى أملاكهم في يثرب وخيبر، فهذا رئيس وزرائهم الأسبق بن غوريون يقول: «لا معنى لإسرائيل من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون الهيكل». ومؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل يقول: «إذا حصلنا يوماً على القدس وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي شيء، فسوف أزيل كل ما ليس مقدساً لدى اليهود، سوف أحرق الآثار التي مرت عليها عبر القرون».

أما موشي دايان؛ وزير الحرب إبان حرب ٦٧، فقد قال يوم احتلال القدس عام ١٩٦٧م: «لقد استولينا على أورشليم، ونحن في طريقنا إلى يثرب وخيبر».

وقد ذكر وايزمان؛ رئيس الكيان الصهيوني الأسبق، في كتابه (التجربة والخطأ) أن اليهود بعد عام ١٩٦٧م حاولوا انتزاع الزاوية الفخرية (دار أبو السعود)، وهي ملاصقة للجهة الغربية لسور المسجد الأقصى المبارك، كي يهدموها للبحث عن أساس هيكلهم، وطلبوا ذلك من أرملة الشيخ حسن أبو السعود، ولكنها رفضت، وأخيراً أُخرجت السيدة بالقوة، وهدمت الدار، وسافرت إلى السعودية عند أولادها، فقال لها (هيرتسوج) حاكم القدس: «إذا رأيت الملك فيصل فقولي له: إننا قادمون إليه، فإن لنا أملاكاً عنده، إنَّ جدنا إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، وإن الكعبة ملكنا وسنسترجعها بالتأكيد»[1].

وبالعودة إلى الحديث فقد حصر النَّبي ﷺ شدّ الرّحال بتلك المساجد دون غيرها، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يحدث قائلاً: «أتيت الطور فوجدت ثَمَّ كَعباً، فمكثت أنا وهو يوماً» ثم يقول: «فخرجت فلقيت بُصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قلت: من الطور. قال: لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته.

(١) من مقال لنبيه عبد ربه (بتصرف)، مجلة الأمة القطرية، العدد ١، ١٩٨٠م.

قلت له: ولم؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس**"»[1].

وللقارئ الكريم أن يتخيل حال صحابة رسول الله ﷺ وهم يستمعون إليه يحثّهم على شدّ الرّحال إلى تلك المساجد.. والحقيقة أنني أجهل متى كان ذلك؟ فإن كان قبل الفتح، فقد زادهم ذلك شوقاً وتحفّزاً لفتح مكة المكرمة لينعموا بالصلاة في المسجد الحرام، وقد كان لهم ذلك يوم الفتح المبين..

وإن كان الحديث بعد الفتح، فقد كان شدّ الرّحال بين المسجدين (المسجد النبوي والمسجد الحرام) متاحاً وميسوراً للمسلمين جميعاً في ظل دولة إسلامية قويّة تنعم بالأمن والأمان والاستقرار.. ما يعني أن قلوبهم بقيت معلّقة بإتمام تلك النعمة الجليلة بفتح بيت المقدس ليتسنىّ لهم وللمؤمنين من بعدهم شدّ الرّحال إليه، تطبيقاً لما ورد في حديث نبيهم ﷺ، وقد أتيح لهم ذلك بعدما خضّبت دماؤهم الزكيّة أرض الشَّام في أجنادين وفحل وحمص ودمشق واليرموك، وتمّ لهم فتح بيت المقدس..

أما اليوم، ووسائل التنقل متاحة بين القارات بسرعة فائقة عجيبة، وناقلات متنوعة مريحة، تتيح للمسلم أن يصلي في أي بقعة من العالم، وأي مسجد يريد، سوى المسجد الأقصى المبارك، فإن على المسلمين استشعار مدى الخسارة والغبن من عدم تمكن الكثرة الكاثرة منهم من شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، وتطبيق حديث نبيهم ﷺ وهديه المبارك الذي حثّنا عليه ورغّبنا فيه.. عليهم أن يستشعروا عندما تغمرهم الفرحة والبهجة لحظة رؤيتهم لمآذن المسجد الحرام والمسجد النبوي وساحاتهما أثناء حجِّهم أو عمرتهم أو زيارتهم، أن أعينهم التي اكتحلت برؤية الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة، لم تكتحل برؤية مآذن الأقصى والصخرة المشرفة التوءَم الثالث الأسير في أيدي عدو لئيم بغيض..

---

(١) الراوي: أبو هريرة المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: ١٤٢٩، خلاصة الدرجة: [صحيح].

عليهم ألَّا ينسوا لحظة واحدة في طوافهم وسعيهم وركوعهم وسجودهم وزيارتهم؛ حديث نبيهم ﷺ عن شدّ الرحال، وعليهم أن يتبعوا ذلك بالعمل الحثيث على تذليل كل الصعاب، وإزالة كل العوائق التي تحجز بينهم وبين التوءم الثالث العزيز، لتحظى الأجيال القادمة بما حظي به جيل الصحابة والمؤمنون من بعدهم من تطبيق كامل غير منقوص لذلك الحديث العظيم.

إضاءة: رسَخ النَّبي ﷺ النّهج الإلهي في الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومعهما المسجد النبوي وخصّهم وحدهم عن جميع المساجد بشدّ الرّحال لتبقى القلوب معلقة بهم.

ثانياً : البيت الثاني في الأرض

جاء ثناء الله عزّ وجلّ على البيت الحرام بوصفه أوّل بيت وضع للناس بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٣/٩٦].

والمعنى أنه أوّل بناء يُبنى لغرض عبادة الله تعالى، لا كسائر الأبنية الأخرى التي تُبنى للسكن أو التجارة أو غير ذلك.. فهو رمز لعبوديّة البشر لخالقهم الواحد الأحد..

وإذا كان البيت الحرام قد حاز هذه الميزة، فإن المسجد الأقصى المبارك أيضاً ناله نصيب من ذلك الشرف العظيم بوصفه ثاني بيت وضع للناس كما جاء في الحديث الشريف: «عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: "**المسجد الحرام**". قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "**المسجد الأقصى**". قلت: كم كان بينهما؟ قال: "**أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فَصَلِّهْ، فإن الفضل فيه**"»[1].

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٣٣٦٦، خلاصة الدرجة: [صحيح].

وفي رواية مسلم: "**ثم الأرض لك مسجد. فحيثما أدركتك الصلاة فصلِّ**"(١).

وبذلك يشترك المسجد الأقصى المبارك مع البيت الحرام بأنهما بُنيا بوحي من الله تعالى، ليكونا مَعْلمين من معالم التوحيد على مدى الزمان.

والحديث يسمي الأقصى مسجداً مُذ أُسِّس وبُني، فلا هو معبدٌ ولا هو هيكل أو غير ذلك، وما ينبغي له أن يكون إلا مسجداً للمسلمين، لا يشاركهم فيه أحد ولا يقتسمه معهم كائناً من كان..

إنه في وصفه مطابق للمسجد الحرام.. مسجد تَذِلّ فيه الرِّقاب وتنحني فيه الهامات للخالق الواحد الأحد لا شريك له.

مسجد للمسلمين الموحدين،لم ولن يكون هيكلاً لليهود المغضوب عليهم، أو كنيسة للنصارى الضالين، فمن أحبّ المسجد الحرام وتعلّق به قلبه فطبيعي أن يتعلّق قلبه بالمسجد الأقصى الذي بني بعده بأربعين سنة.

وإذا كانت مكة أم القرى، فمسجدها الحرام هو أبو المساجد، إن جاز لنا أن نطلق عليه ذلك، يليه في ذلك مباشرة المسجد الأقصى المبارك ثاني المساجد في الأرض..

إضاءة: ترسيخ صفة أن الأقصى مسجد مثله في ذلك مثل المسجد الحرام، وربط بنائه ببناء المسجد الحرام منذ القدم كان هدياً نبوياً جليلاً لتعزيز مكانة المسجد الأقصى المبارك، وغرس حبه في النفوس؛ كونه ثاني مسجد وضع للناس في الأرض.

ثالثاً : تعزيزه ﷺ لمكانة المسجد الأقصى المبارك قبلةً للمسلمين

القبلة هي مَحطُّ اتجاه الوجوه والقلوب خلال تأدية الصلاة التي فيها يناجي العبد خالقه ومولاه، وينقطع فيها عن أمور دنياه، ولاشك أن هذا التوجه يخلق

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٥٢٠، خلاصة الدرجة: [صحيح].

في النفس إحساساً غامراً بالتعلق النفسي والروحي والقلبي بهذه الوجهة، وهو أمر طبيعي ذكره علماء النفس، حيث أشاروا إلى أن المتعلم إذا أراد أن يضمن استيعاباً أكبر فعليه أن يتجه بنظره نحو المحاضر أو المعلم أو المتكلم، كما أن المحب يزداد تعلقه وتأثره القلبي بالنظر إلى حبيبه والتوجه نحوه..

إن كل مسلم في الأرض يشعر من خلال توجهه نحو البيت الحرام في صلاته بحب غامر وتعلق كبير بالكعبة المشرفة، يظهر ذلك جلياً عندما لا يملك الحاج والمعتمر إخفاء شعورهما بمجرد رؤيتها عياناً وهطول العبرات تأثراً بمشاهدتها.

إن القبلة ليست مجرد بناء يحدد وجهة المصلين في صلاتهم وحسب.. إنها - كما ذكر صاحب الظِّلال - «قبلة واحدة تجمع هذه الأمة وتوحِّد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها.. قبلة واحدة، تتجه إليها الأمة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها. فتحسُّ أنها جسمٌ واحد، وكيانٌ واحد، تتجه إلى هدف واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد، منهج ينبثق من كونها جميعاً تعبد إلهاً واحداً، وتؤمن برسول واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة. وهكذا وحَّد الله هذه الأمة. وحَّدها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها. وحَّدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات. ولم يجعل وحدتها تقوم على قاعدة من هذه القواعد كلها، ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها، ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها.. إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان، فالإنسان يجتمع على عقيدة القلب، وقبلة العبادة، إذا تجمع الحيوان على المراعي والكلأ والسياج والحظيرة!»[1].

إن القبلة هي رمز الأمة وعنوان وحدتها وخضوعها لخالقها، ولذلك فإن لها في قلب كل مسلم موقعاً متميزاً لا يتزعزع.. ومن كل ما سبق يتضح لنا تلك الميزة الجليلة التي امتاز بها المسجد الأقصى المبارك باختيار الله تعالى العليم الحكيم له ليكون قبلة المسلمين الأولى، يُوَلُّون وجوههم وقلوبهم نحوها زمناً

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ١/ ١٣٤.

طويلاً، وسنين عديدة، كما في حديث البراء بن عازب «أن النَّبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال: أخواله- من الأنصار، وأنَّه صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلَّى أول صلاة صلَّاها، صلاة العصر، وصلَّى معه قوم، فخرج رجل ممن صلَّى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صلَّيت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت. وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلِّي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك»(١).

ومن طريق أخرى عن البراء بن عازب «كان رسول الله ﷺ صلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله يحب أن يُوَجّه إلى الكعبة، فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢/ ١٤٤] فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس-وهم يهود-: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢/ ١٤٢]. فصلَّى مع النَّبي ﷺ رجل، ثم خرج بعدما صلَّى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صلَّى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجَّه نحو الكعبة، فتحرّف القوم، حتى توجهوا نحو الكعبة»(٢).

ومن ذلك يتبين لنا فوائد كثيرة منها: إرادة الله تعالى ومشيئته للمسجد الأقصى أن يكون قبلة للمسلمين ولو لفترة محدودة وإن كان نص الحديث يفيد (وهذه نقطة مهمة تغيب عن الكثيرين) بأن المسلمين اتجهوا نحو بيت المقدس فترة طويلة جداً استغرقت الفترة المكية (قبل الهجرة) كما أورد ابن عباس أن النَّبي ﷺ كان يتجه نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة بين يديه، يضاف إلى تلك

(١) الراوي: البراء بن عازب، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٤٠، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) الراوي: البراء بن عازب، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة ج٣٩٩، خلاصة الدرجة: [صحيح].

الفترة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً أعقبت الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة حتى تحويل القبلة، أي إن المسلمين مكثوا سنوات عديدة (وليس مجرد شهور)، يتجهون في صلاتهم نحو المسجد الأقصى المبارك..

إن هذه الفترة كانت كفيلة بترسيخ مكانة فريدة ومنزلة كبيرة للمسجد الأقصى في نفوس المسلمين، وتعليق قلوبهم وأفئدتهم به على مدى الزمان باعتباره القبلة الأولى، فقد كان من الممكن أن يكون التوجه مباشرة نحو الكعبة، إلا أن حكمة الله اقتضت ألَّا يحدث ذلك إلا بعد فترة طويلة، كافية لترسيخ مكانة المسجد الأقصى المبارك في نفوس المسلمين مع كونه بعيداً عنهم، وكونه لا يخضع لحكمهم أو سيطرتهم في ذلك الوقت..

وهنا يأتي دور النَّبي المرشد المُعلِّم ﷺ ليرسخ مكانة المسجد في نفوس أصحابه، فهو يرفض اجتهاد أحد أصحابه في التحول عن المسجد الأقصى قبلة المسلمين قبل أن يأتي الأمر بذلك من عند الله تعالى.

فعن عبيد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، أن أباه كعب بن مالك، وكان كعب ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، قال: «خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين، وقد صَلَّينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت - والله - رأياً، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا، قال: قلنا له: وما ذاك؟ قال: قد رأيت ألَّا أَدَع هذه البنية مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها، قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلِّي إلّا إلى الشَّام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إني أصلِّي إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، فكنا إذا حضرت الصلاة صَلَّينا إلى الشَّام وصلَّى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة، قال أخي: وقد كنا عِبنا عليه ما صنع، وأَبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ، فاسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجل من أهل مكة،

فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ قال: قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم، قال: وكنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ معه جالس فسلَّمنا، ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: "**هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟**" قال: نعم هذا البراء بن معرور سيِّد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: "**الشاعر؟**" قال: نعم، قال: فقال البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، وهداني الله للإسلام، فرأيت ألَّا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: "**لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها**" قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلَّى معنا إلى الشَّام، قال: وأهله يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم»[(١)].

فقوله ﷺ: "**لقد كنت على قبلة..**" يدل على أن المسلمين كانوا يصلّون بمكة إلى بيت المقدس، ويتخذونه قبلة لهم. وأن النَّبي ﷺ لم يرتضِ بديلاً عنه إلا بأمر من عند الله تعالى، ولم يسع الصحابي البراء بن معرور رضي الله عنه إلا أن يستجيب لتوجيه نبيه ﷺ والالتزام بالتوجه إلى الشَّام حيث المسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى.

وألفاظ الحديث هنا ستغنينا عن التأكيد في كل نقطة قادمة، على مصطلح مهم جداً، ألا وهو مصطلح (الشَّام)، الذي يختزله البعض اليوم في رقعة محدودة من الأرض هي سورية ولبنان، بل إنَّ آخرين -من العوام- يختزلونه في مدينة دمشق!!

---

(١) الراوي: كعب بن مالك، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٦/ ٤٥، خلاصة الدرجة: رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٤٦١.

والصحيح الذي يتضح من هذا الحديث -وغيره من الأحاديث-أن بيت المقدس وأكنافه المباركة أولى بهذا الوصف وهذا المصطلح، فبمجرد ذكر الشَّام يجب أن تتبادر إلى الذهن أولاً قباب المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، عندما نقرأ مصطلح الشَّام يجب أن تتراءى أسوار المدينة المقدَّسة، وتينها وزيتونها، وسهولها وهضابها. فالمسألة هنا تتعلق بأمور دقيقة تحويها أحاديث المصطفى ﷺ تختص ببقعة معينة، تقتضي الدقة ألَّا نصرفها أو نعممها على غيرها، ونخلص إلى أن مصطلح الشَّام يشير إلى بيت المقدس بدرجة أولى ثم إلى أكنافه المباركة بدرجة ثانية.

إضاءة: تمسكُ النَّبي ﷺ بالتوجه نحو بيت المقدس قبل هجرته وبعدها إلى حين نزول الأمر الإلهي بالتحول عنها إلى البيت الحرام، ورفض أي اجتهادات لأصحابه عزز من مكانة الأقصى قبلةً في نفوس أصحابه.

رابعاً : نهي النَّبي ﷺ عن استقبال المسجد الأقصى المبارك ببول أو غائط

استكمالاً لما أوردته في النقطة السابقة، والذي يبين بجلاء كيفية تعزيز مكانة المسجد الأقصى قبلةً للمسلمين حينما كان القبلة التي يتجهون إليها، فإن ذلك الأمر استمر وتواصل حتى بعد تحول المسلمين إلى بيت الله الحرام، بقي النهج النبوي في تعزيز مكانة المسجد الأقصى قبلةً للمسلمين حتى بعد نسخها، فقد جاء في حديثٍ عن معقل بن أبي معقل الأسدي «أن رسول الله ﷺ نهى أن نستقبل القبلتين ببول أو غائط»[1]. والقبلتان هما: الكعبة والمسجد الأقصى.

وهذا الحديث يدل على ما للقبلة من مكانة عظيمة، يجب أن تقرّ في النفوس وتستحضرها العقول في كل الأحيان، وجميع الأحوال والأوقات، حتى وإن نسخت تلك القبلة وبقيت قبلة أولى فمكانتها تبقى محفوظة ومُقدَّرة..

(١) الراوي: معقل بن أبي معقل الأسدي، المحدث: النووي، المصدر: الخلاصة، الصفحة أو الرقم: ١/ ١٥٤، خلاصة الدرجة: إسناده حسن، ورواه أحمد: ٤/ ٢١٠.

وعن هذا الحديث ذكر الفقهاء أن العلة في النهي أنه لإظهار الاحترام والتعظيم للقبلة، واستدلوا على التعليل بمرويات طاووس بن كيسان اليماني، وإن كان فيها ضعف. وبما روي من حديث سراقة بن مالك عن رسول الله ﷺ: "**إذا أتى أحدكم الغائط فليكرم قبلة الله، فلا يستقبل القبلة**"(١).

ويكفينا هنا ما جاء في الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: "**إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا**". قال أبو أيوب: «فقدمنا الشَّام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف، ونستغفر الله تعالى»(٢).

ولسنا هنا بمعرض ذكر الآراء الفقهية في هذا الموضوع، خاصة مع ورود أحاديث أخرى ترخِّص في ذلك، كحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: «ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة، مستقبل الشأم»(٣). وفي رواية مسلم عن واسع بن حبان، قال: «كنت أصلي في المسجد وعبد الله بن عمر مسند ظهره إلى القبلة، فلما قضيت صلاتي انصرفت إليه من شقي، فقال عبد الله: يقول ناس: إذا قعدت للحاجة تكون لك، فلا تقعد مستقبل القبلة ولا بيت المقدس، قال عبد الله: ولقد رقيت على ظهر بيت، فرأيت رسول الله ﷺ قاعداً على لبنتين مستقبلاً بيت المقدس، لحاجته»(٤).

إذ إن الفقهاء اختلفوا في جواز ذلك في بنيان أو في الصحراء..

---

(١) الراوي: سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، المحدث: الدارقطني، المصدر: الدراية، الصفحة أو الرقم: ١/١٨٨، خلاصة الدرجة: من مرسل طاووس.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري. الراوي: أبو أيوب الأنصاري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٣٩٤، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٣) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١٤٨، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٤) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٢٦٦، خلاصة الدرجة: [صحيح].

وما يعنينا هنا هو ربط النَّبي ﷺ بين القبلتين معاً في ذلك الأمر بما يعني أن للقبلة الأولى مكانة قائمة يجب مراعاتها دائماً وأخذها بعين الاعتبار، في كل وقتٍ وحين، حتى في أوقات قضاء الحاجة!!

إضاءة: لم يكتف النَّبي ﷺ بتعزيز مكانة الأقصى قبلةً حين كان قبلة لهم في الصلاة، ولكنه استمر في ذلك بعد تحول المسلمين إلى المسجد الحرام.

خامساً : بناء إبراهيم للكعبة من صخور بيت المقدس

زيادة في تعميق الرابط بين بيت الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك، ورد عن النَّبي ﷺ أن إبراهيم عليه السلام بنى المسجد الحرام من صخور من جبال عديدة كان من بينها جبل بيت المقدس كما في الأحاديث التالية:

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «أنه كان بناه من خمسة أجبل: من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الْخَمَر»(١).

قال ابن أبي حاتم: جبل الخمر - يعني بفتح الخاء المعجمة - هو جبل بيت المقدس.

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء «إن آدم بناه من خمسة أجبل: حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي ولبنان، وكان ربضه من حراء» ومن طريق محمّد بن طلحة التيمي قال: «سمعت أنه أسس البيت من ستة أجبل: من أبي قبيس ومن الطور ومن قدس ومن ورقان ومن رضوى ومن أحد»(٢).

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، الصفحة أو الرقم: ٢/ ١٦٩، خلاصة الدرجة: رجال إسناده رجال الصحيح. والهيثمي في مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٣/ ٢٩١، خلاصة الدرجة: رجاله رجال الصحيح.

(٢) فتح الباري: كتاب أحاديث الأنبياء، بناء إبراهيم الكعبة.

إنه الهدي النبوي الراسخ في تعميق حبّ المسجد الأقصى المبارك في نفوس أصحابه، بربطه بأحبّ البقاع وأقدسها وأطهرها ليكون حبه مرتبطاً بمهوى أفئدة المؤمنين.

كلَّما قصدوا البيت الحرام بحج أو عمرة..

كلَّما طافوا حول البيت وقبَّلوا الحجر الأسود ومسحوا بيمينهم حجارة ركنها اليماني..

كلَّما التصقت أجسادهم بحجارتها وهطلت مآقيهم بالدمع عند الملتزم..

كلما أزيحت الكسوة عن الكعبة المشرفة، لغسلها بالطيب وتغيير كسوتها وبانت حجارتها للمحبين، تذكَّروا المسجد الأقصى المبارك بصخرته المشرَّفة وصخور حائط البراق فيه، تحنّ قلوبهم ونفوسهم إليه، ويزداد تعلقهم به، وتمسكهم بحق الأمة الإسلامية فيه وفي أكنافه المباركة على مدى الزمان.

إضاءة: لم يكتف النَّبي ﷺ بربط قلوب المسلمين بالأمور الروحية والإيمانية بل تعدّاه إلى أمور مادية؛ فبين لهم أن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة من صخور جبال بيت المقدس، لما في ذلك من دلالة بالغة وأثر عميق في نفوس المسلمين.

سادساً : ربطه ﷺ العملي بين المسجدين ببيان فضل الإحرام من المسجد الأقصى المبارك

كان من هدي النَّبي ﷺ أن يعزز في نفوس أصحابه حبّ المسجد الأقصى المبارك، بعد أن يذكر لهم مزاياه - كما ورد في النقاط السابقة - بوسائل عملية تضمن ترجمة ما يعتمل في النفوس تجاه الأقصى، بأعمال تسعد بها الأركان وتذكرها النفوس والأرواح..

فمع أن بوسع المسلم في أي مكان كان، أن يحرم للحج أو العمرة من المواقيت التي تحيط بمكة المكرمة، فقد خصَّ النَّبي ﷺ بيت المقدس بميزة

جعلته يرتبط على مدى الزمان بالمسجد الحرام ارتباطاً عملياً، ألا وهي زيادة الأجر لمن أحرم من بيت المقدس بحج أو عمرة.

ومن شأن ذلك أن يشعر المسلمون بعمق الرابطة بين المسجدين الجليلين، ومن شأن ذلك أيضاً زيادة حرصهم وتحرِّيهم زيارة المسجدين الشريفين، للحصول على ذلك الثواب العظيم الذي جاءتنا أخبار السلف الصالح بحرصهم على إحرازه ونيله..

وقد ورد في ذلك مجموعة من الأحاديث والآثار منها:

عن أم سلمة زوج النَّبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة**"[(١)].

وعن أم سلمة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: "**من أحرم من بيت المقدس، غفر الله له ما تقدم من ذنبه**"[(٢)]. وفي رواية: "**من أحرم من بيت المقدس بحج أو عمرة، كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه**"[(٣)].

وروى المقدسي في فضائل القدس -بسنده- عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس»[(٤)]. قال ابن حزم: «صحّ عن ابن عمر أنه أحرم من بيت المقدس»[(٥)]. وقال ابن المنذر: «ثبت أن ابن عمر أهلَّ من إيلياء،

---

(١) الراوي: أم سلمة هند بنت أبي أمية، المحدث: النووي، المصدر: المجموع شرح المهذب، الصفحة أو الرقم: ٧/ ١٩٩، خلاصة الدرجة: إسناده ليس بالقوي. وهو في سنن أبي داوود ٢/ ١٤٤، والبيهقي: السنن الكبرى ٥/ ٣٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: مسند الأنصار، مسند النساء، حديث رقم ٢٥٩٧٧.

(٣) سنن الدارقطني: كتاب الحج، باب المواقيت، حديث رقم ٢٣٧٤.

(٤) ضياء الدين المقدسي: فضائل بيت المقدس.

(٥) المحدث: ابن حزم، المصدر: المحلى، الصفحة أو الرقم: ٧/ ٧٥، خلاصة الدرجة: [صحيح].

وهو بيت المقدس»[١]. وروى ابن حزم -بالسند- عن عبد الله بن أبي عمار أنه كان مع معاذ بن جبل وكعب الخير: «فأحرما من بيت المقدس بعمرة وأحرم معهما»[٢].

وجاء أيضاً: «يرحم الله وكيعاً، أحرم من بيت المقدس، يعني إلى مكة»[٣].

ليس هذا فحسب، بل إن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان، ويقضي على الدجّال وأتباعه من اليهود على أرض فلسطين، ويقيم الخلافة الإسلامية هناك، يتجه حاجاً أو معتمراً من بيت المقدس إلى مكة والمدينة، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ليهبطن عيسى بن مريم حكماً، وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجّاً فجّاً، حاجّاً أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم عليّ، ولأردنّ عليه**"[٤].

قال أبو هريرة: «أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام»[٥].

بل إن الترمذي أورد في سننه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: «مكتوب في التوراة: صفة محمّد ﷺ، وعيسى بن مريم يدفن معه. قال: فقال أبو مودود: قد بقي في البيت موضع قبر»[٦]. وقد قال بعض العلماء: إن المكان الخالي

(١) النووي: المجموع شرح المهذب: ٧/ ١٧٢، العراقي: طرح التثريب في شرح التقريب. ووافقه أيضاً: الراوي: نافع، المحدث: ابن كثير، المصدر: إرشاد الفقيه، الصفحة أو الرقم: ٣١٤/ ١، خلاصة الدرجة: إسناده [صحيح].

(٢) ابن حزم: المحلى، ٧/ ٧٣.

(٣) سنن أبي داوود: ٢/ ١٤٤.

(٤) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: ضعيف الجامع، الصفحة أو الرقم: ٤٩٦٢، خلاصة الدرجة: [ضعيف].

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٥٩٥، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٦) الراوي: يوسف بن عبد الله بن سلام، المحدث: الترمذي، المصدر: سنن الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٣٦١٧، خلاصة الدرجة: حسن غريب.

الموجود في الحجرة الشريفة التي تحتوي قبر النَّبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، سوف يكون مدفن عيسى عليه السلام.

وبالنسبة إلى الرأي الفقهي في هذه المسألة، فقد أجمع العلماء على جواز تقديم الإحرام للحج والعمرة عن الميقات المكاني، وقد نقل الإجماع الكثير من العلماء منهم: ابن منذر والخطابي، فقال ابن المنذر: «أجمع أهل العلم على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات فهو محرم»[١].

ولكل مسلم بعد ذلك أن يسأل نفسه، كيف يمكن أن يحظى بهذه الميزة وذلك الهدي النبوي، والمسجد الأقصى المبارك أسير بيد من لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمّة؟

كيف يمكن أن يحرم من المسجد الأقصى والدخول إليه محرَّمٌ على المؤمنين، مباح لشُذَّاذ الآفاق من اليهود الملاعين؟.. وإلى الله وحده المشتكى.

إضاءة: خصَّ رسول الله بيت المقدس بجواز الإحرام منه إلى البيت الحرام، وجعل ذلك سبباً في مغفرة الذنوب ترسيخاً لحب الأقصى وتعليقاً للقلوب به كلما فكر حاج أو معتمر في الإحرام وقصد البيت الحرام.

سابعاً : خدمة المسجد الأقصى المبارك ورعاية شؤونه

من الوسائل العملية التي أشار بها النَّبي ﷺ لأصحابه، رعاية شؤون المسجد الأقصى المبارك، وإعماره بأي وسيلة صغرت أو كبرت، حتى لو كان ذلك مجرد إرسال زيتٍ لإسراج قناديله كي يظهر بأبهى حلة وأجملها..

فعن ميمونة مولاة النَّبي ﷺ قالت: «يا نبي الله، أفتنا في بيت المقدس. فقال: "**أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه، كألف صلاة**

(١) العراقي: طرح التثريب، ٦/٥، ابن قدامة: المغني، ٣/ ٢٦٤.

فيما سواه". قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: "**فليهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له، كان كمن صَلَّى فيه**"»[(١)].

إنه اليوم بحاجة لمن يهدي إليه زيتاً، ولكن ليس أي زيت، إنه مثيل الزيت الذي تغنى به منشد الأقصى: (يا سراج الأقصى.. زيتك دمنا)!!

وفي حديث آخر روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج.

فجاءت ميمونة زوج النَّبي ﷺ، فأخبرتها بذلك، فقالت: اجلسي، فكلي ما صنعت، وصلِّي في مسجد رسول الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا مسجد الكعبة**".

ومدار الفتوى في حديث ميمونة، على أن من نذر الصلاة في مفضول، أجزأه الصلاة في الأفضل ولا عكس. وقال ابن التين: إن أعمال المصلي إلى مسجد المدينة والمسجد الأقصى والصلاة فيهما قربة، فوجب أن يلزم بالنذر كالمسجد الحرام، وعلى هذا إن نذر الصلاة في الأقصى فصلَّى في مكة أو المدينة أجزأه، وإلا فيجب الوفاء بالنذر.

ويظهر من هذه الأحاديث مدى التأثر الواضح من صحابة رسول الله ﷺ رجالاً ونساءً بتلك التعبئة النبوية تجاه المسجد الأقصى المبارك، والتي جعلت ميمونة مولاة النَّبي ﷺ تسأل عنه قائلة: «أفتنا في بيت المقدس»، وهو ما يوحي بأنه أخذ حيزاً كبيراً من تفكيرها حتى باتت بحاجة إلى فتوى تحسم جدلاً ونقاشاً كانا دائرين بين المسلمين حول مكانة الأقصى، وهو ما أوضحه بجلاء حال أبي ذر في الحديث الآتي:

---

(١) الراوي: ميمونة بنت سعد مولاة النبي، المحدث: الوادعي، المصدر: الصحيح المسند، الصفحة أو الرقم: ١٦٦٢، خلاصة الدرجة: [صحيح]. رواه أحمد: ٦/ ٤٦٣، وابن ماجه: ١/ ٤٢٩، ونقل الألباني في "فضائل الشام" أن إسناده صحيح.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تذاكرنا، ونحن عند رسول الله ﷺ، أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ، أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: "**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً، أو قال: خير من الدنيا وما فيها**"»[(١)].

وفي رواية: "**ولنعم المصلَّى في أرض المحشر والمنشر، وليأتينّ على الناس زمان لقيد سوط - أو قال: قوس- الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له - أو أحبّ له- من الدنيا جميعاً**"[(٢)].

يشير سياق الحديث إلى أن الأمر قد وصل بالمسلمين إلى الظن بأن المسجد الأقصى قد يكون أرفع مكانة وأعظم قدراً من المسجد النبوي، حتى أفضى بهم الأمر إلى عرض ذلك على رسول الله ﷺ، الذي بدوره فَصَّلَ لهم الأمر ببيان فضل مسجده ﷺ، مع عدم إغفال مكانة المسجد الأقصى، بل وتأكيد مكانته بقوله: "**ولنعم المصلَّى هو**"، كيلا يزهد أحد فيه ويستغني بمسجد النَّبي ﷺ عنه.

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٦/ ٩٥٤، خلاصة الدرجة: إسناده [صحيح]. وقد أخرجه الحاكم في المسند: ٤/ ٥٠٩، والمقدسي في فضائل بيت المقدس: ١٨، والطحاوي في مشكل الآثار: ١/ ٢٤٨، والبيهقي: ٨/ ٨٣ رقم ٣٨٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تحذير الساجد: ١٩٨، وفي صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ١١٧٩.

(٢) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ١١٧٩، خلاصة الدرجة: صحيح. وقد أخرجه إبراهيم بن طهمان في مشيخته برقم: ٦٢، والحاكم في المسند، والمقدسي في فضائل بيت المقدس، والطحاوي في مشكل الآثار، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في تحذير الساجد: ١٩٨أيضاً.

والعجيب هنا أن أصحابه ﷺ كانوا يضمرون في أنفسهم تجشم العناء، وبذل الجهد للسفر إلى بيت المقدس لأجل الصلاة فيه على بعده وطول مدة السفر إليه، كل ذلك مع أنه لم يكن خاضعاً للدولة الإسلامية في ذلك الوقت!!

بل إن النساء كنَّ يسبقن الرجال في ذلك الشعور والاستعداد النفسي الكامل لشد الرحال إليه، بل وربطه بنذورهن وطاعاتهن..

فكيف بهم وقد تحرر من أغلاله ورفرفت رايات التوحيد فوق مآذنه وقبابه؟..

أين رجال المسلمين اليوم من التطلع إلى شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك والقيام على خدمته؟ بل أين عاطفة نساء المسلمين اليوم تجاه المسجد الأقصى المبارك اقتداءً بأخواتهن اللاتي سبقنهن في الإسلام، فكن خير النساء في خير القرون؟.

إضاءة: حثَّ النَّبي ﷺ أصحابه وأتباعه على خدمة المسجد الأقصى المبارك ورعايته، ولم يحقر أي شيء قلَّ أو كثر، حتى إن كان مجرد إرسال زيت لإضاءة قناديله.

ثامناً: وقفة مع أبي ذر رضي الله عنه

يتضح من النقطة السابقة مدى تعلق الصحابة بالمسجد الأقصى المبارك، ولعل تكرار سؤال الصحابي أبي ذر رضي الله عنه السؤال والاستفسار عنه يجعلنا نسوق أحاديث أخرى تؤكد مدى تعلق قلبه وفؤاده به..

فهو الذي سأل: «أي مسجدٍ وضع في الأرض أولاً؟ قال: "**المسجد الحرام**". قلت: ثم أي؟ قال: "**المسجد الأقصى**". قلت: كم بينهما؟».

وواضح أنه عندما سمع الإجابة عن المسجد الأقصى اكتفى بذلك فلم يسأل: ثم أي؟ بل قال: «كم بينهما؟»..

وهو أيضاً السائل: «أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟».

وفي الرد على ذلك السؤال سمع أبو ذر من النَّبي ﷺ ترغيباً شديداً في مجاورة المسجد الأقصى بقوله ﷺ: "**وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً**". وهو ما نلحظ أثره في رده على النَّبي ﷺ في الحديث:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «أتاني نبي الله ﷺ وأنا نائم في مسجد المدينة، فضربني برجله فقال: "**ألا أراك نائماً فيه؟**" قال: قلت: يا نبي الله ﷺ، غلبتني عيني. قال: "**كيف تصنع إذا أخرجت منه؟**". قال: قلت: آتي الشَّام الأرض المقدَّسة المباركة. قال: "**كيف تصنع إذا أخرجت منها؟**". قال: قلت: ما أصنع يا نبي الله؟ أضرب بسيفي. فقال النَّبي ﷺ: "**ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك، وأقرب رشداً؛ تسمع وتطيع، وتنساق لهم حيث ساقوك**"[(١)]».

وفي رواية أخرى:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «جعل رسول الله ﷺ يتلو علَيَّ هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢/٦٥] حتى فرغ من الآية ثم قال: "**يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**".

قال: فجعل يتلو بها ويرددها علَيَّ حتى نَعَسْتُ ثم قال: "**يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟**". قال: قلت: إلى السعة والدعة، أنطلق حتى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/١٥٦، وابن حبان: برقم ٦٦٦٨ مطولاً، والدارمي: ١/ ٣٢٥، مختصراً وإسناده رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح، سوى عم أبي حرب بن أبي الأسود لا يعرف إلا أنه لم ينفرد بروايته، فقد توبع في روايته عن أبي ذر: فقد تابعه عبد الرحمن بن غنم عند أحمد: ٥/ ١٤٤، وأسماء بنت يزيد عند أحمد: ٦/ ٤٥٧، والطبري: رقم ١٦٢٣، وفي إسنادهما شهر بن حوشب ضعيف لكن حديثه حسن في المتابعات، وقد تابعه أيضاً أبو السليل ضريب بن نفير القيسي عن أبي ذر وأخرجه أحمد في المسند: ٥/ ١٧٨-١٧٩، وابن حبان: رقم ٦٦٦٩، وأحمد بن منيع كما في مصباح الزجاجة: برقم ١٥٠٧، وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٢٣: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا سليل ضريب بن نفير لم يدرك أبا ذر، فالحديث بهذه المتابعة حسن، وقد حسن إسناده ابن عبد الهادي في فضائل الشَّام: برقم ١٣.

أكون حمامة من حمام مكة. قال: "**كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟**". قال: قلت: إلى السعة والدعة، إلى الشَّام والأرض المقدَّسة. قال: "**وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟**" قال: قلت: إذن والذي بعثك بالحق، أضع سيفي على عاتقي. قال: "**أو خير من ذلك؟**" قال: قلت: أو خير من ذلك؟ قال: "**تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً**"»[1].

فهو هنا يصف الشَّام بالأرض المقدَّسة المباركة وأرض السعة والدعة، وأبى أن يخرج منها بالقوة.. وهي التي توجه إليها فعلياً وجاءته منيته على تخومها رضي الله عنه.

وهكذا يجب أن يتعامل كل أبناء الأمة مع هذه الأرض، أرض مقدسة مباركة ليست كأي أرض أخرى، أرض عرف الصحابة قدرها ومنزلتها، فاختاروها سكناً لهم، وقضى كثير منهم نحبهم على ثراها المبارك، ومنهم الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه.

إضاءة: الصحابي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه نموذج حي يظهر مدى تأثر صحابة النَّبي ﷺ بهديه الشريف في غرس حبّ المسجد الأقصى المبارك في نفوسهم، وهو ما جعله يختار البقاء بجواره ووصفه بأنه الأرض المقدَّسة المباركة، وهو وصفٌ مهم جداً وله إيحاء مهم، وقد أقره عليه النَّبي ﷺ.

تاسعاً: إخباره ﷺ بمضاعفة الأعمال في المسجد الأقصى المبارك

خص الله المساجد الثلاثة (البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى) بمضاعفة أجر الصلاة فيها، ترغيباً للمسلمين في الصلاة بها، وحثّاً لهم على التمسك بها والمحافظة عليها والدفاع عنها بكل ما تملكه الأمة من غالٍ ونفيس، فجعل الصلاة في البيت الحرام بمئة ألف صلاة فيما سواه، وهو ما يجعل كل مسلم تهفو نفسه وتتطلع لنيل ذلك الثواب العظيم والأجر الكبير الذي لا يمكن أن يبلغه في أي مكان آخر.. فقد قال رسول الله ﷺ: "**الصلاة في**

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند الأنصار، حديث: ٢٠٩٩٦.

المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمس مئة صلاة"[(١)].

وكنت قد أوردت حديث ميمونة سابقاً الذي فيه: **"ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه، كألف صلاة فيما سواه"**[(٢)]. وحديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه: **"صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو"**[(٣)].

وتدل الأحاديث السابقة دلالة واضحة على فضل ثواب المصلي في المسجد الأقصى المبارك، وهو ما جعل المسلمين يتسابقون إلى الصلاة فيه من جميع بقاع الأرض طمعاً في رضا الله ومثوبته، دون أن يضع الواحد منهم نصب عينيه رقماً معيناً، لأن الله تعالى يضاعف الحسنة الواحدة أضعافاً مضاعفة، ولا يقف الأجر والثواب عند رقم معين، ولأن العدد لا مفهوم له كما هو مقرر في أصول الفقه، وإنما المقصود أن الأجر فيها عظيم والثواب فيها كبير، والله أعلم.

علم النَّبي ﷺ حبّ أصحابه للأجر، وتسابقهم عليه، وتحرّيهم لأبوابه، ففتح لهم نافذة واسعة من خلال الصلاة في المساجد الثلاثة، وكان هو قدوتهم في ذلك، إذ كان يبادر إلى الصلاة في مسجده حال عودته من الغزو قبل توجهه إلى بيته.

---

(١) الراوي: أبو الدرداء، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، الصفحة أو الرقم: ٢/ ٢٠٥، خلاصة الدرجة: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]. ورواه البزار والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال البزار: إسناده حسن (الفتح، ٣/ ٦٧).

(٢) الراوي: ميمونة بنت سعد مولاة النبي، المحدث: الوادعي، المصدر: الصحيح المسند، الصفحة أو الرقم: ١٦٦٢، خلاصة الدرجة: [صحيح]. رواه أحمد: ٦/ ٤٦٣، وابن ماجه: ١/ ٤٢٩، ونقل الألباني في (فضائل الشام) أن إسناده [صحيح].

(٣) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٦/ ٩٥٤، خلاصة الدرجة: إسناده [صحيح]. وقد أخرجه الحاكم في المسند: ٤/ ٥٠٩، والمقدسي في فضائل بيت المقدس: ١٨، والطحاوي في مشكل الآثار: ١/ ٢٤٨، والبيهقي: ٨/ ٨٣ رقم ٣٨٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تحذير الساجد: ١٩٨، وفي صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ١١٧٩.

إن هذه الأحاديث يعزز بعضها بعضاً، فالنبي ﷺ يحصر شدّ الرحال بالمساجد الثلاثة، ولزيادة الحافز إلى شدّ الرحال فإنه ﷺ يؤكد تميز تلك المساجد من غيرها بمضاعفة أجر الصلاة فيها، ليكون ذلك أدعى إلى شدّ الرحال إليها، وكل ذلك يستدعي الوقوف طويلاً لتحري السبب وراء ذلك والحكمة الكامنة خلفه، ألا وهو تثبيت الهوية الإسلامية، وحق الأمة في تلك الأماكن المقدَّسة بزيادة أعداد المسلمين الموجودين فيها دائماً، فيكونون الأكثر والأقدر على الاحتفاظ بها تحت مظلة الدولة الإسلامية، فلا يتحكم بها أحد من غيرهم، فيمنعهم من الوصول إليها لنيل ذلك الأجر المضاعف.

كما أن هذا الأمر يعطي توجيهاً عجيباً لأتباع المصطفى ﷺ، فمن كان حريصاً على زيادة الأجر فعليه أن يكون حريصاً على تلك المساجد، وعليه، فإن تقاعس المسلمين اليوم عن استعادة مسجدهم الأقصى المبارك إنما مرده إلى زهد الكثيرين منهم في الأجر المرصود لمن يصلي فيه، وهو بحدّ ذاته مؤشر واضح إلى تدني منسوب الإيمان، والحاجة الماسَّة إلى رفعه، بالسعي الحثيث إلى طرق كل أبواب الخير، كما كان يفعل الصحابة، الذين لم يكن ينقصهم - مثلنا- البحث عن الأعمال التي تتضاعف فيها الأجور، ومع ذلك فقد كانوا أشدّ حرصاً منّا على السؤال عنها والمسارعة إلى تطبيقها.

إضاءة: هدي النَّبي ﷺ في غرس حبّ الأقصى في نفوس أصحابه بدا واضحاً جلياً في إخباره بتضاعف الأعمال وأجر العبادات فيه مثله مثل شقيقيه المسجد الحرام والمسجد النبوي.

عاشراً : إخباره ﷺ عن نزول القرآن ببيت المقدس

عندما يربط رسول الله ﷺ أي شيء بالقرآن الكريم، فإنه يرفع قدره ويزيد من مكانته في النفوس، وهي دعوة منه إلى محبة ذلك الشيء لحب المسلمين كتابَ ربهم وتعظيمهم إياه.

ويتجلى هديه الكريم في غرس حبّ المسجد الأقصى وبيت المقدس في نفوس أصحابه وأمته، بإشارته الواضحة إليه ضمن الأماكن التي ذكرها النَّبي ﷺ وارتبطت بنزول القرآن.

وللوقوف على أهمية هذا الأمر، نورد قول أبي القاسم النيسابوري في كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن) حيث قال: «مِنْ أشرف علوم القرآن: علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً..»[(١)].

وقد استدل صاحب (الإتقان) بحديث أخرجه الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "**أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام**"[(٢)] قال الوليد بن مسلم: يعني بيت المقدس[(٣)].

وأورده الحاكم برواية: "**أنزلت علي النبوة في ثلاثة أمكنة: بمكة، والمدينة، والشام**"[(٤)].

وقد جاء في (الإتقان) وفي (مناهل العرفان) أن آية ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٤٥] نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء، وكذا جاء في تفسير (روح المعاني) الذي أورد قول مقاتل بأنها نزلت في بيت المقدس. والله أعلم.

---

(١) فتح القدير: ٤/ ٣٤.

(٢) الراوي: أبو أمامة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٧/ ١٦٠، خلاصة الدرجة: فيه عفير بن معدان وهو ضعيف.

(٣) الإتقان: ١/ ٣٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب الفتن والملاحم، حديث: ٨٦٣٥، وصححه.

ومن كل ما سبق يمكن استنتاج تلك العلاقة المقدَّسة بين أقدس مقدسات المسلمين مع كتاب الله المجيد، كي نذكر كلام ربنا ونحن في تلك البقاع الطاهرة، ونتذكر تلك البقاع الطاهرة حينما نتلو كلام ربنا.

إضاءة: تعدى ربط النَّبي ﷺ المسجد الأقصى بالمسجد الحرام والمسجد النبوي إلى ربطه بالقرآن على حد سواء معهما، وهو بذلك يربطه بأقدس مقدسات المسلمين ويغرسه بأعماق قلوبهم.

حادي عشر: محشر ومنشر ومبدأ.. ومعاد!!

أحاديث نبوية كثيرة صرّحت بأن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر، كما ورد في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**الشام أرض المحشر والمنشر**"(١).

وعن ميمونة بنت سعد مولاة النَّبي ﷺ قالت: «يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟ قال: "**أرض المحشر والمنشر**"»(٢).

وحديث بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال: «قلت: يا رسول الله أين تأمرني؟

قال: "**ههنا**". وأومأ نحو الشام. قال: "**إنكم محشورون رجالاً وركباناً، ومجرون على وجوهكم**"».

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: فضائل الشَّام ودمشق، الصفحة أو الرقم: ٤، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وجاء موقوفاً عن أبي ذر عند أحمد في المسند: ٦/ ٢٥٧، وقد صححه الشيخ الألباني لوروده من طريقين ولشاهد من حديث ميمونة بنت سعد.

(٢) الراوي: ميمونة بنت سعد مولاة النبي، المحدث: الوادعي، المصدر: الصحيح المسند، الصفحة أو الرقم: ١٦٦٢، خلاصة الدرجة: [صحيح]. رواه أحمد: ٦/ ٤٦٣، وابن ماجه ١/ ٤٢٩، ونقل الألباني في (فضائل الشام) أن إسناده صحيح.

وفي رواية:

"**ستكون فتن**". قيل: يا رسول الله ماذا تأمرنا؟ قال: "**عليكم بالشام**"[(١)].

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النَّبي ﷺ قال: "**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير**"[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم عليه السلام، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، وتقيل حيث يقيلون وتبيت حيث تبيتون، وما سقط منهم فلها**"[(٣)].

ومعلوم أن إبراهيم هاجر هو ولوط عليهما السلام إلى فلسطين من أرض الشَّام ليستقرا عليها ويقيما فيها، وقد استقر إبراهيم عليه السلام في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة، في حين وجه الله نبيه لوطاً عليه السلام إلى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٣، ٥، وفضائل الصحابة: ١٧١١، والترمذي: رقم ٢٤٢٤، ٣١٤٢، والفسوي في تاريخه: ٢/ ٢٩٦، والربعي في فضائل الشَّام: رقم ١٣، والحاكم: ٤/ ٥٦٨، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح: وسنده قوي، كما في تحفة الأحوذي: ٧/ ١١٠، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال مرة أخرى: حسن.

(٢) الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ٣٠٩١، خلاصة الدرجة: [صحيح لغيره]. وقد أخرجه أبو داوود: برقم ٢٤٨٢، والحاكم: ٤/ ٥٤٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الألباني: الحديث صحيح لشاهده من حديث ابن عمر رضي الله عنه (الذي سنورده بعده).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٢/ ٨٤، وأخرجه ابن عساكر: ١/ ١٥١-١٥٢، ورجاله ثقات كما قال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على فضائل الشَّام للربعي.

الشرق من بيت المقدس ليكون نبياً عند القوم القاطنين شرق فلسطين، والذين عرفوا فيما بعد بقوم لوط. فبلاد الشَّام ومنها فلسطين وبيت المقدس هي موطن هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيها توفي ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقد أخبر أن خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام» إلى أن قال: «وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ، فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: "**ستخرج نار من نحو حضرموت -أو من حضرموت- تحشر الناس**". قلنا: يا رسول الله: ما تأمرنا؟ قال: "**عليكم بالشام**"[(٢)].

وهنا يتبين هدي النَّبي ﷺ بيناً واضحاً في غرسه حبّ الأرض المقدَّسة والحرص على سكناها واللجوء إليها، فعند اشتداد الخطر وازدياد الفتن يختارها بعينها لأصحابه، وهو لا يختار لهم إلا ما يختاره الله ويصطفيه الله ويزكيه له الله.

«فالله سبحانه وتعالى عليم حكيم، يفعل ما يشاء، ويختار ما يشاء، ويفضل ما يشاء وفق حكمته سبحانه، فهو يعلم ما يستحق التكريم، وما يستحق التفضيل، فالأماكن ليست متساوية عند الله، لأنه فضل بعضها على بعض.

والله سبحانه حين اختار بلاد الشام، وفلسطين، وبيت المقدس لتكون

---

(١) مناقب الشَّام وأهله لابن تيمية: ٨٠.

(٢) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٢٢١٧، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وأخرجه أحمد في المسند: ٢/ ٨، ٥٣، ٦٩، ٩٩، ١١٩، وابن حبان كما في الموارد: ٢٣١٢، والفسوي: ٢/ ٣٠٣، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ٤٥٣٦، ٥١٤٦، ٥٣٧٦، ٦٠٠٢، وقال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٦١، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

الأرض التي يحشر إليها العباد، يعلم أنها من خير الأرض عنده، وأنها تتمتع بمنزلة عالية من التكريم والأفضلية، ولذلك استحقت أن تكون أرض المحشر والمنشر. والنبي ﷺ حين ينصح الناس بأن يلزموا أرض الشَّام ليسلموا من تأثير النار التي تخرج آخر الزمان، فإنه صدقهم النصح وهو القائل: "**الدين النصيحة**"[(١)]، لأنه يعلم أن ملائكة الرحمة متوكلة بحفظ أرض الشام، ولذلك فإن هذا الحفظ كفيل بأن يدفع شر هذه النار عن أهلها، والقادمين إليها، والساكنين فيها، ولو أن النَّبي ﷺ علم أرضاً خيراً منها تحمي من هذه النار لنصحهم بها. قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «أشار النَّبي ﷺ بالشام عند خروج النار لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذٍ من غيرها، والمستشار مؤتمن»[(٢)][(٣)].

والتعرض للحشر والنشر -وهما من أمور الآخرة- يسوقنا لبيان أمر دقيق ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (مناقب الشَّام وأهله)، بعد أن يسوق عدة آيات تتضمن ذكر الشَّام حيث يقول: «ذكر الله أرض الشَّام في هجرة إبراهيم إليها، ومسرى الرسول ﷺ إليها، ومملكة سليمان بها، ومسير سبأ إليها.. وصفها بأنها الأرض التي باركنا فيها، قال: وفيها المسجد الأقصى، ومبعث الأنبياء، وإليها هجرة إبراهيم وإليها مسرى نبينا، ومنها معراجه، وبها ملكه، وعمود دينه والطائفة المنصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد كما أن مكة المبدأ، فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض، والشام إليها يحشر الناس كما في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢/٥٩] نبه على الحشر الثاني. فمكة مبدأ، وإيلياء (القدس) معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر. فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه

---

(١) الراوي: تميم الداري و أبو هريرة و ابن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ١٦١٠، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) ترغيب أهل الإسلام: ٢٨.

(٣) الأرض المقدَّسة بين الماضي والحاضر والمستقبل: إبراهيم العلي، ٣٩-٤٠.

حتى يملكه المهدي بالشام. فمكة هي الأول والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية»[١].

وجاء أيضاً له في الفتاوى: «وقد دلّ الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين، أن الخلق والأمر ابتدآ من مكة أم القرى، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمّدية التي طبق نورها الأرض، وهي جعلها الله للناس قياماً، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان نور الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن (مُلك النبوة) بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشَّام كما أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»[٢].

إن في كل ما ورد حافزاً وأي حافز على لزوم بلاد الشام، والهجرة إلى أكنافها المباركة وسُرَّتها بيت المقدس. وما لنا ألَّا نحظى بذلك الوسام الرفيع الذي تقلده السابقون الأولون من أصحاب نبينا ﷺ عندما هاجروا إلى المدينة المنورة فحازوا لقب المهاجرين، فلنكن نحن مهاجري هذا الزمان، بالهجرة إلى (مهاجر أبينا إبراهيم عليه السلام)، نطهره من دنس يهود، ونتحصن به من شر مضلات الفتن، وننعم بتطبيق هدي نبينا المصطفى ﷺ.

إضاءة: حازت الأرض المقدَّسة ميزة عظيمة بوصف النَّبي لها أنها أرض المحشر والمنشر وهو ما يربطها بالأحداث العظيمة آخر الزمان مع أمره ﷺ بالتوجه إليها وقت اشتداد الفتن وخروج النار من اليمن.

(١) [ص(٧٧-٧٨) بتخريج ناصر الدين الألباني رحمه الله](مجموع الفتاوى: ٢٧/ ٥٠٥).
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٧/ ٤٣-٤٤.

ثاني عشر : العصمة من الدجّال

لعل من الحكم التي يمكن تقصّيها حول السرّ في اختيار نبينا ﷺ بيت المقدس؛ مهاجر أبينا إبراهيم عليه السلام، لاتقاء الفتن، وكذلك تخصيصه المساجد الثلاثة (في مكة والمدينة وبيت المقدس) بشد الرحال إليها.. أنها تشترك جميعاً في كونها آمنة من فتنة الدجّال في آخر الزمان، عندما تموج الفتن موجاً كالجبال، فرسول الله ﷺ حذرنا من الدجّال، وأرشدنا إلى الوسائل والطرق المنجية من فتنته، والتي كان منها الابتعاد عن طريق الدجّال، لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**من سمع بالدجّال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشهوات**"(١).

وهي دعوة من الرسول ﷺ للمؤمنين أن يبتعدوا عن الدجّال، ويحتموا بالأماكن المحميّة المعصومة من فتنته، وهي مكة والمدينة وبيت المقدس، فإن من بركة هذه الأماكن أنها تكون -كما أسلفنا- في آخر الزمان خاصة، ملاذاً آمناً للمؤمنين من الفتن الكبرى، فطوبى لمن بادر بسكناها والإقامة فيها والتنعم ببركاتها..

فعن جنادة بن أبي أمية الدوسي، قال: «دخلت أنا وصاحب لي على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فقلنا: حدِّثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدِّثنا عن غيره، وإن كان عندك مصدقاً، قال: نعم، قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: "**أنذركم الدجّال، أنذركم الدجّال، أنذركم الدجّال، فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، وإن معه جنَّة وناراً، فناره جنَّة، وجنَّته نار، وإن معه نهر ماء وجبل**

(١) الراوي: عمران بن حصين، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٦٣٠١، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وقد أخرجه أبو داوود وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك وصححه الحاكم.

خبز، وإنه يسلَّط على نفس فيقتلها ثم يحييها، لا يسلَّط على غيرها، وإنه يمطر السماء ولا تنبت الأرض، وإنه يلبث في الأرض أربعين صباحاً حتى يبلغ منها كل منهل، وإنه لا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد المقدس والطور، وما شبِّه عليكم من الأشياء، فإن الله ليس بأعور" مرتين»[(١)].

وجاء برواية: "**وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ فيها كل منهل ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى، وما شبه عليكم فإن ربكم عز وجل ليس بأعور**"[(٢)].

وأخرجه نعيم بن حماد بلفظ: "**إن الدجّال يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد طور سيناء ومسجد الأقصى**".

ومن حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه -في ذكر الدجّال- أن رسول الله ﷺ قال: "..**وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم، وبيت المقدس، وإنه سيحصر المؤمنون في بيت المقدس حصراً شديداً ويؤزلون أزلاً شديداً..**"[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**يخرج الدجّال**

---

(١) الراوي: رجل من أصحاب النبي، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة. الصفحة أو الرقم: **٢٩٣٤**، خلاصة الدرجة: إسناده [صحيح] رجاله رجال التهذيب.

(٢) الراوي: رجل من أصحاب النبي، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: **٧/ ٣٤٦**، خلاصة الدرجة: رجاله رجال الصحيح، وقد أخرجه أحمد في المسند وابن أبي شيبة والبيهقي. وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٠٥٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أبو داوود: برقم **١١٢٧**، والترمذي: برقم **٥٦٢**، والنسائي: **٣/ ١٤٠، ١٤٨، ١٥٣**، وابن ماجه: برقم **١٢٦٤**، والبيهقي في السنن: **٣/ ٣٣٩**، والطحاوي في معاني الآثار: **١/ ١٩٧**، وابن خزيمة: برقم **١٣٩٧**، وأحمد في المسند: **٥/ ١٣، ١٦، ١٩، ٢٣**، والحاكم في المستدرك: **١/ ٣٢٩-٣٣١، ٣٣٤**، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وابن خزيمة والترمذي وأقر ابن حجر تصحيح الحديث في فتح الباري: **١٣/ ٨٥**.

فيمكث في الأرض أربعين صباحاً، يرد كل منهل إلا الكعبة والمدينة وبيت المقدس"[١].

ترى!! هل فكر أحد منا وهو يختم صلاته بذلك الدعاء الذي أوصانا به الحبيب ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع، من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجّال"**[٢].

ترى هل فكر في سبل الوقاية من فتنة الدجّال، وأن منها الاحتماء ببيت المقدس، كما أرشدنا إلى ذلك نبينا وحبيبنا ﷺ؟

إن الدجّال، وهو من أخبث خلق الله، يجنِّد معه من هم على شاكلته من الخبث، وهم اليهود، أخبث خلق الله، ليعيثوا في الأرض فساداً وإفساداً، ولا عجب في ذلك فقد صرحت الأحاديث بيهوديته، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنه قال في شأن الدجّال: **"إنه يهودي، وإنه لا يولد له"**[٣].

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"يخرج الدجّال من يهودية أصبهان"**[٤]. ويهودية أصبهان بلدة من خراسان كانت مأهولة باليهود، قال ياقوت الحموي: «لما سار بختنصر وأخذ البيت المقدس وسبى أهلها، حمل

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٧/ ٣٥٣، خلاصة الدرجة: فيه من لم أعرفهم.

(٢) الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٥٨٨، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وأخرجه أبو داوود في صحيحه، الصفحة أو الرقم: ٩٨٣ والنسائي في صحيحه، الصفحة أو الرقم: ١٣٠٩، وابن ماجه في صحيحه: الصفحة أو الرقم: ٧٥٠.

(٣) حديث صحيح، رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: ٥٣١٨.

(٤) أخرجه الترمذي: ٤/ ٤٤١، وابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة: ١٥٩١.

معه يهودها وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف مدينة (جي) محلة، ونزلوها وسميت (اليهودية)»[١].

وقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**يتبع الدجّال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة**"[٢].

ولأن اليهود هم ذلك العنصر الخبيث، المتهم بقتل الأنبياء وتكذيبهم وتحريف كتبهم ونشر الفساد وانتهاك الحرمات عبر الأزمان، فإن عقابهم الأليم سيكون بإذن الله تعالى، في الدنيا قبل الآخرة، أن يقتص منهم عيسى عليه السلام الذي حاولوا قتله وصلبه على أرض فلسطين، فنجّاه الله منهم، ورفعه إلى السماء من بيت المقدس إلى حين، ذلك أنه سوف يقوم بقتل زعيمهم الدجّال على الأرض المقدَّسة نفسها، التي ستنتقم منهم أيضاً على ما ارتكبوه من جرائم ومجازر وفظائع، نشهد هذه الأيام شيئاً منها، إن هذه الأرض المباركة من شدة بغضها وكراهيتها لليهود، سوف يأذن الله لها أن يتكلم حجرها وشجرها للمشاركة في شرف إبادة أولئك الأخابث وقتلهم كما جاء في الحديث:

قال رسول الله ﷺ: "**يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجّال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذَّر أمته الدجّال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم..**" إلى أن قال: "**فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجّال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجّال ذاب كما يذوب الملح في الماء. وينطلق هارباً، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتواقى به يهودي، إلا أنطق الله ذلك**

(١) معجم البلدان: ١/٨.

(٢) الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٨٠١٦، خلاصة الدرجة: [صحيح].

الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله"[(١)]. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"ينزل الدجّال في هذه السبخة بمرقناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وإلى ابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله"**[(٢)].

وهو ما سأفرد له نقطة خاصة به فيما بعد.

إضاءة: وصفة نبوية ناجعة لكل من يخشى من فتنة الدجّال أن يلجأ إلى بيت المقدس ويتحصن بها وبمسجدها المبارك الذي يشترك مع المسجد الحرام والمسجد النبوي بالعصمة من دخول الدجّال إليها.

(١) الراوي: أبو أمامة الباهلي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٨٧٥، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وأخرجه أبو داوود وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي وابن عساكر والطبراني في الكبير والحاكم والمقدسي في فضائل بيت المقدس وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

(٢) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: أحمد شاكر، المصدر: مسند أحمد، الصفحة أو الرقم: ٧/ ١٩٠، خلاصة الدرجة: إسناده [صحيح]. وصححه أحمد رحمه الله في تعليقه على المسند: برقم ٥٣٥٣، وله شواهد من حديثي سمرة بن جندب وأبي أمامة.